**تعظيم الصغائر**

**عبد الرحمن بن حنبكة**

**الاسلام دين اصطفاه الله لعباده اصطفاء وليس من حق أى مخلوق بالغا مابلغ ان يغير شيئا من هذا الدين الذى اصطفاه الله لعباده لا فى احكامه ولا فى حلاله وحرامه ولا فى درجة الحكم تشديدا او تخفيفا**

* **فما جعله الله عز وجل فرضا لازما وركنا من اركان الدين وجعل تركه من الكبائر فليس لأحد بالغا ما بلغ ان يخفف مندة درجة حكمه فيجعل تركه من الصغائر**
* **وماجعله الله عز وزجل من المحرمات الكبرى كالشرك بالله وقتل النفس بغير حق والسحر وعقوق الوالدين والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات واكل اموال الناس بالباطل فليس لاحد بالغا ما بلغ ان يخفف من شدة درجة حكمه فيجعل فعله من الصغائر**
* **وما جعله الله واجبا لكن لم يجعل تركه من مستوى الكبائر كرد التحية بمثلها وصلة الرحم البعيدة ومتاع المطلقة قبل الدخول بها فهو حق على المحسنين وكتابة صكوك المداينات ونحو ذلك فليس لأحد كائنا من كان أن يرفع درجته فيجعل تركه من مستوى الكبائر**
* **وما جعله الله من المحرمات الصغائر كالنظر الى المرأة الأجنبية والكذبات العارضات التى ليس فيها افتراء على دين الله ولا إضرار او إيذاء بغير حق ولا هضم لحق وكحلق اللحية اذا رجحنا القول بالتحريم وكنتف بعض الشعور التى ورد النهى عنها لما فيه من تغيير الشكل الظاهر الذى جعل الله فيه علامات فارقات فى اصل الخلق لتمييز الافراد بعضهم عن بعض فليس لأحد كائنا من كان أن يرفع درجة تحريمه الى مستوى الكبائر**
* **وما جعله الله من المندوبات او المستحبات فليس لاحد بالغا ما بلغ ان يجعله من الواجبات الصغائر فضلا عن الواجبات الكبائر**
* **وما جعله الله من المكروهات او مما فعله خلاف الاولى فليس لاحد ان يجعله من المحرمات الصغائر فضلا من المحرمات الكبائر**
* **انها حدود الله ليس لاحد ان يغير فيها او فى درجتها شدة وضعفا ان التغيير فى حدود الله ليس لاحد ان يغير فيها او فى درجتها شدة وضعفا ان التغيير فى حدود الله مشاركة لله فى إلاهيته وربوبيته وعدوان على حقه سبحانه وتعالى**

**ان الله قد جعل لكل امر من امور الدين قدرا واحدا والتغيير فى ذلك يعطى صورة غير الاسلام الذى اصطفاه الله لعباده وارتضاء لهم ويدخل فى عموم قول الله عز وجل فى سورة ال عمران 85**

**( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين )**

**ويدخل فى ركب الذين شرعوا من الدين مالم يأذنبه الله واتخذوا انفسهم اربابا مشرعين**

**وكما يحلو لبعض المتهاونين فى الدين التهوين من ارتكاب الكبائر يحلو لبعض المتشددين والمتشددات تعظيم الصغائر والتشديد عليها وتوجيه كل الانظار نحوها كأنها كل الدين او أهم وأخطر مافيه وهذا من التلاعب فى نسب الأحكام الربانية ومقاديرها التى جعلها الله لها وحدودها التى حدوها لها**

**وقد أبان الله عز وجل فى كتابه أنه جعل ما نهى عنه من الكبائر**

**وهذا يدل على ان غيرها مما نهى عنه هو من الصغائر وأبان من اجتنب الكبائر كفر الله عنه سيئاته من الصغائر فبعد نهى الله عز وجل الذين امنوا عن كبيرتين عظيمتين من كبائر الإثم التى تستحق عذابا فى النار هما أكل اموال الناس بالباطل وقتل النفس بغير حق قال تعالى فى سورة النساء 31**

**( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئلتكم وندخلكم مدخلا كريما )**

**ووعد الله بالخير الباقى الخالد للمءمنين المتوكلين على ربهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش فدل على التفريق بين الكبائر والصغائر فليس من حق احد كلئنا من كان ان يجعل الصغيرة كبيرة فإن فعل ذلك كان مفتئتا على الله وعلى حدود دينه الذى اصطفاه لعباده فقال وجل فى سورة الشورى 37**

**( فما أُتيم من شىء فمتع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون \* والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون )**

**واستثنى الله عز وجل من كبائر الاثم والفواحش اللم وهى مايصيب منها المؤمن عرضا دون اصرار ومداومة إذ يقع تحت تأثير مؤثر شديد على نفسه تضعف معه مقاومته فقال عز وجل فى آية مدنية مضمومة الى سورة مكية هى سورة النجم 32**

**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة فى بطون أُمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن آتقى )**

**أى : فالله يغفر لهنه واسع المغفرة**

**فالله عز وجل أعلم بعباده وأعلم بما فطرهم عليه إذ أنشأهم من الارض وإذ هم أجنة فى بطون أمهاتهم ويعلم أنهم خطاؤون ولولا فضله عليهم بالحفظ ورحمته لهم بالمغفرة مازكى منهم من احد ابدا أى : ما طهر منهم من المعاصى والخطايا أحد دل على هذا قول الله عز وجل فى سورة النور 21**

**( يأَيها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطن ومن يتبع خطوات الشيطن فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى من أحد أ[دا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم )**

**ولعلم الله بعباده وعلمه بما فطروا عليه وانهم خطاؤن جعل لضعفاء الإرادة منهم الصغائر متنفسا لارتكاب للمعصية والاىستغفار فتختلط فى نظر الناس الصغائر بالكبائر**

**ثم اذا وجدوا الدعاة والوعاظ والمرشديد يوجهون معظم اهتماماتهم للتحذير من هذه الصغائر ظنوا انها هى ذات الاهتمام الاكبر فى الذين فيتركونها ويجدون متنفسا لخطاياهم بارتكاب الكبائر فتلبس المرأة المتشدد عليها للترضية الظاهرية قفازين تستُرُ بهما كفيها وتُلقى قناعا كثيفا على وجهها ثم يهون عليها بعد ذلك ان ترتكب الفواحش وكبائر الاثم كالغيبة والنميمة والإضرار بالناس وافتراء الاكاذيب عليهم واكل اموال الناس بالباطل والسحر والرجوع الى المنجمين والعرافين والعرافات**

**إن حدود أحكام الاله يجب ان نبينها للناس كما هى فى دين الله وعلينا ان ندع اراءنا الخاصة جانبا فالله اعلم بعباده واعلم بما يصلهم واعلم بما قطرهم عليه**

**ان الله عز وجل خلق الانسان وجعل له اجهزة اساسية اذا فقد واحدا منها فقد كل حياته كدماغه وقلبه وكبده وطائفة من شرايينه واوردته وجعل له اجهزة دون ذلك اذا فقد واحدا منها لم يخسر كل حياتاه لكنه يخسر من ثمرات كسبه فى حياته على قدر ما فقد مبصره وسمعه وذوقه ويديه ورجليه**

**وجعل له اغضاء دون ذلك فيها نفع وجمال فإذا فقد واحدا منها لم يخسر شيئا عظيما من جسده وكان بإمكانه ان يعوض مما لم يخسر كأصبع من يد أو رجل وكلكيلة من كليتين وكأذن قطعت وبقى سمعها ونحو ذلك**

**وجعل له متممات تزيينيه جمالية كشعره ونضارة جلده ودمال قسماته**

**كذلك نجد سنة الله فى كل ما خلق من حخيوان ونبات وكذلك نجد سنة الله فى كل قوانين الإبداع التى مكن الناس من الوصول اليها والانتفاع من المنجزات بها**

**فمن غيّر فى سنن الله وانظمته فى الوجود خاب وخسر ومن غير فى حدود احكام شريعة الله خاب وخسر وهو من الابتداع فى الدين والدين لله وليس من حق اى احد ان يبتدع فى دين الله وليس من حق اى احد ان يبتدع فى دين الل مالم يأذن به الله ومالم يكن له به سلطان من عند الله بدليل شرعى مقبول عند أئمة الاجتهاد فى فهم الدين**

**ان الاسلام فى عقيدته وعمله الظاهر والباطن بناء فكرى واعتقادى وسلوكى داخلى وخارجى منزّل من عند الله وهو مطابق لبناء الانسان والتزام الانسان بهذا الدين هو سبيل سعادته فى الدنيا والآخرة**

**واذا عرضنا خطوط حدود احكام الاسلام وشرالئعه ومبادئه ومفاهيبمه على طريقة رسم الخرائط الهندسية وجدنا خريطة الاسلام تمثل دائرة كبرى فى داخلها دوائر حتى الدائرة التى هى فى مركز القلب حول المحور**

**1 – ففى الدائرة الصغرى التى هى حول المحور مباشرة تقع العقائد واتلمفاهيم الرئيسية والمبادىء التى يجب الايمان به وفى داخل هذه الدائرة درجات ذوات نِسَبِ متفاوتة ادخلها الى العمق الإيمان بالله عز وجل**

**2 – وفى الدائرة التى بعدها اقترابا إلى خط السطح تقع اركان الاسلام والفرائض التى جعل الدين من الكبائر وتقع ايضا المحرمات العظيمة التى يعتبر ارتكابها من الكبائر**

**وفى داخل هذه الدائرة ايضا درجات ذوات نِسَب فيما بينهما بحسب الصلة المباشرة بين الفرض وعمق الايبمان او غير المباشرة وهى التى تكون بوساطة حلقة او اكثر من سلاسل الاتصال**

**فبعض الفرائض كالصلاة الصق بدائرة الايمان من بعض فرائض اخرى**

**3 – وفى الدائرة الثالثة اقترابا الى خط السطح تقع الواجبات التى لم يجعل الدين تركها من الكبائر وتقع المحرمات التى لم يجعل الدين ارتكابها من الكبائر**

**والواجبات والمحرمات فى هذه الدائرة ذوات نسب متفاوتة ايضا فما اقترب منها الى الدائرة الثانية كان اشد وجوبا او اشد تحريما**

**4 – وفى الدائرة الرابعة اقترابا الى خط السطح تقع المندوبات والمستحبات وتقع ايضا المكروهات وماهو من قبيل خلاف الاولى كالاداب الاسلامية فى اللباس والمشى والطعام والشراب**

**والمندوبات والمكروهات فى هذه الدائرة ذوات نسب متفاوتة ايضا فما اقترب منها الى الدائرة الثالثة كان اشد ندبا او اشد كراهية وربما اشتبه المندوب فيها بالواجب وربما اشتبه المكروه فيها بالمحرم من الصغائر فتختلف فيه اراء اهل الاجتهاد من الائمة المعتبرين**

**وقد يختلف المجتهدون الفقهاء المأذون لهم بالاجتهاد – لما أثبتوه من جدارة وأهلية بشهادة كبار العلماء – فى بعض احكام هذه الدوائر**

**لكن الكبائر العظمى التى نبه القرآن عليها قد رتب الله عليها تهديدا ووعيدا او جعل لها عقابا مبينا او امر حاكم المسلمين بأن يقيم الحد على مرتكبها**

**وكلمة " لعن " رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعل كذا او " لعن الله " فاعل كذا الواردة فى بعض الاحاديث لا تفيد ان العمل من الكبائر فاللعن اى : الطرد والابعاد له مستويات قُصوى ودُنيا وادناه بمعنى الابعاد المؤقت الدال على كراهية العمل فلابد لإثبات ان العمل كبيرة من دليل اخر يفيد ذلك**

**ان تعظيم الصغائر فى الدين يفسد عامة المسلمين رؤيتهم لاحكام الدين فلا يلاحظون الفروق بين الصغائر والكبائر وبين المكروهات والمحرمات وبين المندوبات والواجبات**

**ولايكون تعظيم الصغائر الا على حساب مساحات الكبائر وحجومها فخريطة الاسلام ذات مساحة محددة وهى غير قابلة للإضافة او الحذف كذلك فهى غير قابلة لتغيير نسب الحدود فيها**

**ان تعظيم امر قرية صغيرة فى خريطة الدولة يفسد الخريطة وربما يطغى على العاصمة المجاورة لها او على مدينة كبيرة وإن تعظيم امر غرفة صغيرة فى خريطة بناء القصر يفسد خريطته ولابد ان يطغى ذلك على مساخات الغرف الاخرى التى حددت مساحاتها بحسب ما أُعدت له**

**وحين تُعَظَّم الصغائر لعامة المسلمين ويصعب عليهم اجتنابها لما فُطروا عليه من الضعف البشرى وتخطلت الرؤى فى انظارهم يهون عليهم ارتكاب الكبائر لانها تغدو فى تصوراتهم مساوية للصغائر وربما يهتمون بترك الصغائر التى لا تكلفهم مشقة مغالبة نفوسهم وأهوائهم وشهواتهم ويقعون فى الكبائر التى لهم فيها هوى عظيم فيأكلون المال الحراتم ويرابون ويظلمون الناس ويفسقون ويرضون جانب التقوى بلحية يعفونها وثوب يقصرونه وربما يقولون : تلك مستورات وهذه ينبغى الاهتمام بها لانها تدل على الولاء للإسلام**

**وتختلط المفاهيم واعجب لدين قوم كل همهم منه المظاهر**